



ما أصعب أن تخوض معركة حق يحاربها العالم، وما أقسى أن تجد نفسك وحيداً وسط المعركة مسربراً بدمائك، تصارع الأمواج المتلاطمـة حولك وكأنك تسبـح عـكس تـيارات الموت المجنونـة التي لا تـيق ولا تـذر.

وـحين تكون محاطاً بالموت من كل حـدب وصوبـ، ليس أمامك سـوى خـيار واحد: أن تصمد وتصبر وتقاوم؛ فإـاماً يأتيك الفرج من حيث لا تـدرـي، وإـاماً تحـملـك الملائـكة إلى مكان يـنتـظرـك في المـلـأ الأـعـلى مـكـلاًـ بالـرـياـحـينـ ومـفـروـشاًـ بالـسـنـدـسـ. وفيـ الحالـتينـ أـنـتـ المـنـتـصـرـ... وـحينـ تكونـ وـسـطـ المـحـيـطـ الـهـائـجـ ليسـ هـنـاكـ مـلـذـ آـمـنـ أـنـىـ اـتـجهـتـ، فـالـمـوـتـ مـحـدـقـ بـكـ مـنـ أـمـامـكـ وـورـائـكـ.

هـذاـ بالـضـبـطـ حالـ السـورـيـينـ الـذـيـ باـعـواـ دـنـيـاهـ لـيـشـتـرـواـ الـمـجـدـ وـالـكـرـامـةـ. ثـارـواـ عـلـىـ الـظـلـمـ وـالـطـغـيـانـ فـتـكـالـبـتـ عـلـيـهـمـ الذـئـابـ، وـأـغـرـبـ ماـ فـيـ المـوـضـوعـ أـنـ الذـئـابـ رـغـمـ هـيـاجـهـ تـخـافـ فـرـيـسـتـهاـ وـتـخـافـ هـذـهـ النـظـرـاتـ الثـاقـبةـ فـيـ عـيـونـ الضـحـاياـ وـالـتـحـديـ الـذـيـ فـرـضـوـهـ عـلـىـ الـمـشـهـدـ الـلـاعـقـلـانـيـ وـالـثـبـاتـ أـمـامـ الشـرـ وـقـدـ تـأـلـبـ مـسـعـورـاًـ بـهـ نـهـمـ إـلـىـ الـعـضـاضـ وـإـنـ أـوـدـيـ بـهـ النـهـمـ. وـفـوـقـ أـشـلـاءـ الضـحـاياـ تـقـدـ إـسـرـائـيلـ لـتـقـوـدـ قـطـيعـ الذـئـابـ، كـالـدـيـنـمـوـ الـذـيـ يـدـيرـ دـفـةـ السـفـينةـ، فـإـنـ تـحـركـ تـحـرـكـتـ وـإـنـ سـكـنـ سـكـنـتـ. وـمـنـ سـوـءـ حـظـ الشـعـبـ السـورـيـ التـائـرـ أـنـ تـزـامـنـتـ اـنـتـفـاضـتـهـ مـعـ أـعـتـىـ التـدـاعـيـاتـ الـعـالـمـيـةـ وـالـإـقـلـيمـيـةـ، فـمـنـ جـهـةـ يـنـوـءـ الرـجـلـ الـأـسـوـدـ فـيـ الـبـيـتـ الـأـبـيـضـ بـكـلـ الـاـنـتـخـابـاتـ الـراـهـنـةـ وـيـخـوضـ مـعـرـكـةـ دـاخـلـيـةـ تـشـغـلـهـ عـنـ كـلـ السـيـنـارـيوـهـاتـ الـعـالـمـيـةـ شـائـهـ فـيـ ذـلـكـ شـائـهـ فـرـنسـاـ وـرـوـسـيـاـ، وـبـمـاـ أـنـ الـلـوـبـيـ الصـهـيـونـيـ هوـ الـمـعـمـلـ الـمـصـنـعـ لـرـؤـسـاءـ الـعـالـمـ الـذـيـ يـفـصلـ قـادـةـ الـعـالـمـ حـسـبـ مقـاسـ دـوـلـةـ إـسـرـائـيلـ، فـلـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـنـفـرـدـ حـاـكـمـ بـحـكـمـهـ مـاـ لـمـ يـخـضـعـ لـفـحـصـ زـمـرـتـهـ الدـمـوـيـةـ؛ فـإـنـ كـانـتـ (ـإـسـرـائـيلـ +)ـ فـقـدـ كـفـيـ هـمـهـ، وـإـنـ كـانـ غـيرـ ذـلـكـ أـجـرـيـتـ لـهـ جـراـحةـ إـسـتـرـاتـيـجـيـةـ مـصـحـوـبـةـ بـعـمـلـيـةـ غـسـيلـ دـمـاغـ طـبـقـيـ محـورـيـ حتـىـ يـفـيءـ إـلـىـ ربـ نـعـمـتـهـ (ـإـسـرـائـيلـ)، الـتـيـ تـمـوـلـ الـحـمـلـاتـ الـاـنـتـخـابـيـةـ لـقـادـةـ الـعـالـمـ بـعـدـ صـهـيـنـتـهـمـ، وـتـحـكـمـ بـصـنـادـيقـ الـاقـتـرـاعـ وـنـتـائـجـ الـاـنـتـخـابـاتـ بـتـحـريـكـ يـهـودـ الـعـالـمـ مـعـ أـوـ ضـدـ أـيـ مرـشـحـ رـئـاسـيـ، وـبـمـاـ أـنـ يـهـودـ الـعـالـمـ يـسـيـطـرـونـ عـلـىـ 90%ـ مـنـ الـإـعـلـامـ الـعـالـمـيـ فـلـاـ تـتـوقـعـ أـنـ تـصـرـحـ أـيـ قـنـاةـ فـضـائـيـةـ أـوـ حتـىـ مـكـوـكـيـةـ بـمـاـ يـخـالـفـ شـرـيعـةـ حـكـماءـ صـهـيـونـيـونـ. وـحـينـ يـقـولـ يـهـودـ بـارـاكـ:ـ "ـخـفـفـواـ الضـغـطـ عـنـ الـنـظـامـ السـوـريـ"،ـ تـكـفيـ هـذـهـ إـشـارـةـ إـلـىـ رـفـعـ كـافـةـ أـنـوـاعـ الـضـغـوطـاتـ عـنـهـ.

لعلّ هذا ما يفسر التناقضات التي غرقنا بها منذ بدء الثورة السورية وطفوان الاحتجاجات ضد طاغية الشام الأكبر. فكم مرة سمعنا الناطق الرسمي باسم البيت الأبيض يقول أنّ على الأسد أن يتنهى؟ وكم مرة تهجم أردوغان على النظام الأسدى وطالبه بالرحيل وهدده بدعم الثورة والشعب النازف حتى الموت؟ وكم مرة صرخ ساركوزي بضرورة وقف العنف والانتقال السلمي للسلطة وضرورة إقامة ممرات آمنة، تحولت مع الوقت إلى ممرات إنسانية ثم تلاشت أدراج الرياح؟ ثم يأتي تقرير حقوق الإنسان ليدين جرائم الأسد ضد شعبه والتي تصل إلى حدّ جرائم ضد الإنسانية، ويأتي بعدها مجلس الجمعية العمومية ليدين انتهاكات الأسد لحقوق الإنسان ويطالبه بوقف العنف وتسلیم السلطة السلمي لنائبه، ثم يتحفنا أصدقاء سوريا بمؤتمر في تونس الخضراء لم نجن من ثماره سوى المزيد من الضحايا وإراقة الدماء، ثم ماذا؟ ماذا ننتظر بعد ذلك من العالم؟

بات واضحًا أن العالم لا يريد أن يتدخل في الشأن السوري لأن الأوامر العليا صدرت بعدم التدخل، بل طالبت أيضًا بالصمت وغض النظر عمّا يجري في سوريا من جرائم بشعة تكفي لإدانة العالم بأسره وليس فقط لإدانة النظام السوري المجرم. لكن ما يحزننا فعلاً كسوريين هو أن أصابع راعي قطيع الذئاب قد وصلت حتى إلى رعاة الثورة السورية المخلوين بمخاطبة المجتمع الدولي نيابة عنها. وقد شهدنا على مدى شهور من الأخطاء ما يكفي لنموت غمًا لكن ظلاناً نساند ونؤيد وندعم الممثل الوحيد للحرك الثوري السوري ونسكت عن أخطائه رغبةً منها بلّ الشمل وتوحيد الصفوف، لا جهلاً وغفلةً مما يحدث وراء الكواليس. لكن وصل الطوفان إلى حدّ كاد يهلكنا معه، وأصبحنا كالربان الذي يتوجس خيفةً من الرياح العاصفة ويستعد لاتخاذ قرار صعب بمواجهتها كي ينجو بمن معه من الهلاك الوشيك.

وأصبح واجباً علينا أن نواجه صنفين من الأعداء، صنف نعرفه وقد أعلننا الحرب عليه، وصنف أعطيناه ظهورنا ظننا أنه السند والعمود الفقري الحامي فما ليث أن اتضحت لنا أنه (يحالف رياح القدر ضدنا) (1) في صفقة خاسرة ستودي به وبنا إلى مهاوي التهلكة. وعلى رأس هذا الصنف يقف الثلاثي المرح برهان غليون وأحمد رمضان وبسمة قضماني الذين عقدوا هذه مع السوس الذي ينخر عظامنا، بدل أن يشنوا حربهم عليه، الثلاثي المرح يطالب بالسلامية ويريد أن يضع يده على الجيش الحرّ ويتحكم بآلية تسليحه ونوعية تحركاته، دون أن يدرك مدى حجم الدمار الذي خلفه نظام الأسد ومدى الفساد الأخلاقي الذي يقود حربهم ضد الشعب الأعزل ومدى إجرامهم بحق الأبرياء الذي لم يرحم طفلاً رضيعاً ولا شيخاً عاجزاً ولا شاباً ولا فتاة، ومارس كل أنواع القتل والذبح والتنكيل والاغتصاب والقمع السادي في السجون والمعتقلات الأسدية، فهل يأتي يوم نسمع فيه برهان غليون يطالب الجيش الحر أن لا يطلق طلقة رصاص واحد على شبيحة الأسد حتى تأتيه الأوامر من سيادته؟ وهل يأتي يوم تطالب فيه بسمة المجلس المدنيين أن لا يدافعوا عن أنفسهم لأن ثورتنا سلمية؟؟؟؛ وهل نسمع البوّاق أحمد رمضان يغرد خارج السرب مطالباً النساء أن تستسلم طواعية لانتهاك عرضها وتحتسن الأجر على الله؟ عن أي سلمية تتحدثون ولم يبق فرد واحد من أفراد الطائفة المؤيدة للنظام لم يحمل سلاحاً؛ عن أي سلمية تتحدثون وقد وجدت مئات الجثث من أهلنا مرمية في الشوارع وقد كتب عليها (شبيحة الأسد) و(الأسد أو لا أحد)؛ عن أي سلمية تتحدثون وقد ذبحت عائلات بأكملها في بيوتها الآمنة بالسلاكيين الحاقدة على البشرية؟ عن أي سلمية تتحدثون وقد قتل الشبيحة مئات المرضى في المشافي الحكومية ظلماً وبهتاناً؟ عن أي سلمية تتحدثون وقد فتحت عصابات الأسد نيران مدافعها ومدافع دباباتها على المظاهرات السلمية أمس في الرستن وغيرها؟

نقول: لا للتدخل العسكري الخارجي خوفاً من إراقة دماء الضحايا وتخريب البلد، وقد فعل بنا أوغاد الأسد ما هو أنكى وأمر؟ لقد خربت البلد فماذا تنتظرون؟ احترموا دماء الأبرياء ودموع اليتامي وأنّات الثكالي وصرخات المنكوبين والجوعى حين تحسون بنيذكم المعتق وتأكلون الكافيار المفلل وترقصون السامبا في الشانزيليزيه. الشعب يطالب برحيل الثلاثي المرح (برهان وبسمة والرمضان) قبل رحيل الأسد. ويناشد أصحاب الضمير الإنساني أن يدعموا الجيش الحر بالسلاح والعتاد لإنقاذ من تبقى من الشعب السوري، ويطلب بتوجيهه ضربات عسكرية لمقرات القيادة الأسدية ومقرات الأمن والمعتقلات

والمخابرات بكل أنواعها. ويطالب المجتمع الدولي أن يحفظ ماء وجهه ويكتف عن المتاجرة بدماء السوريين. لسنا ننتظر دعماً دولياً لن يأت، بل ننتظر أن يتحقق الله الحق بكلماته ويقطع دابر الظالمين. إذا شاء الله نزع الملك من عبد، فلن يعجزه، وإذا شاء تمكين الملك لعبد فلن تقف في وجهه جيوش العالم بأسره. والغلبة للمؤمنين الصابرين؛ {ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين}.

(1) الصحيح يحالف الظالم والمستبد، وليس رياح القدر – وإن كنا نثمن للكاتبة عبارتها الأدبية. لأن القدر من الله خيره وشره؛ وركن من أركان الإيمان.

المصادر: